# إقالةُ عثرةٍ من عَثَرات الأقلام [1]

## أو

## بحثٌ طريفٌ في (أيّ) الشرطية

عددت من (عثرات أقلام) الصحافيين قولهم (لم يصدر عني أيٌّ تصريح) فقلت إن (أي) لها معان واستعمالات عدة . سردها صاحب (المغني) . واستعمال الكتّاب لها في مثل الجملة المذكورة ليس من تلك الاستعمالات في شيء . والأفصح أن يستعاض عن (أي) في مثل تلك الجملة بحرف (ما) التي تفيد المبالغة في الإبهام والتنكير : فيقال (لم يصدر عني تصريحٌ ما) .

على أنه اذا دقّق المرء النظر في مثل هذا التركيب وهو قوله : (لم يصدر عني أيٌّ تصريح) وطريقةِ إرجاعه الى قواعد النحاة ـ وجده مختصراً أو منحوتا من كلام أطول منه . وكأنّ الكتاب العصريين إنما عالجوا طوله بطريقة الاختزال المستعملة في هذا الزمن :

(أيّ) في التركيب المذكور لا يُمكن أن تكون استفهاميةً ولا اسمَ موصول ولا للدلالة على الكمال (زيدٌ رجلٌ أيُّ رجل) ولا وصلةً لنداء الاسم المحلّى بأل (يا أيُّها الرجل) بقي من المعاني الخمسة التي ذكرها (المُغني) (أيّ) الشرطية الجازمة . وبعد التأمل وجدت أنه يمكن ارجاع (أي) في مثل قولهم (لم يصدر عني أيٌّ تصريح) الى (أي) الشرطيّة هذه . ويمثّلون

(١) إحدى محاضرات الأستاذ المغربي التي ألقاها في مجمع فؤاد الأول اللغوي المصري في جلسته المنعقدة في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥١ م ويتلوها ما قاله اعضاء المجمع في موضوعها .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لها بقولهم : ( أيًا تفعلْ أفعلْ ) : فأيٌ الشرطية تتركب جملتها من فعلين يأتيان بعدها . مجزومين بها . وهي منصوبةٌ بفعل الشرط الذي بعدها . ولها الصدارة في جملتها . فأصل ( أيًا تفعل أفعل ) : ( تفعل أيًا أنت أفعله أنا ) والتنوين في (أيًا ) عوض عن محذوف استُغني عنه بدلالة المقام : تقديره ( أيَّ شيءٍ تفعلْ أفعلْ ) ويُلحقون بأي هذه حرف ( ما ) فيقولون : أيًا ما تفعل أفعل . وقال شراح الألفية إن ( ما ) هذه صلة ( أي زائدة ) لتأكيد الإبهام في ( أي ) ويريدون بالابهام التنكير . ويجوز التصريح بالمضاف اليه المحذوف . فنقول مثلاً : ( ايَّ طعامٍ تأكلْ آكل ) واذ كان ( طعام ) نكرة مستغرقة لجميع أنواع الأطعمة جاز ان يكون المضاف اليه جمعًا فنقول : أيَّ أطعمةٍ تأكلْ آكل . وأيَّ لحوم تأكلْ آكل . وقد يُعرَّف المضاف اليه بأل الدالة على الجنس أو الاستغراق . فتقول : أيَّ الأطعمةِ وأيَّ اللحوم . وانما جاز ذلك لوجود الابهام والتنكير في الأطعمة واللحوم . حتى لو قلتَ أيَّ اللحمين ـ لحم سمكٍ أو لحم طير ـ تأكلْ آكل جاز أيضًا : لأن التثنية أو الاثنينية لا تمنع التردُّد والابهام في المأكول ما دام غيرَ معين بذاته : إذ أن ( ال ) في اللحمين للعهد الذهني المُفيد للتنكير . على حدّ ما ذكره النُحاة في مثالهم المشهور : ( انزلْ السوق واشترِ اللحم ) وكما يُحذف المضاف اليه اختصاراً فيقال ( أيًا تأكلْ آكلْ ) يحذف جواب الشرط . ففي آية ( أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) تقديره أيَّ اسم تسمّوا الله به فهو حسن : فقولنا ( فهو حسن ) جوابُ الشرط حذف ودل عليه قوله تعالى : « فله الأسماء الحسنى ) . ومثله آية ( أيَّ الأجَلَيْنِ ما قضيتَ فلا عُدوان عليّ ) وهي قراءة ذكَرَها البيضاوى . وقال إن ( ما ) الواقعة بعد( الأجلين ) مزيدةٌ لتأكيد الفعل . والقراءة المشهورة ( أيّما الأجلين قضيتَ ) وجواب ( أي ) في هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآية محذوف قدّره البيضاوي بقوله ( أيَّ الأجلين قضيتَ وفيتك إياه ) وقد دل على ذلك المحذوف المقدّر قوله تعالى ( فلا عدوان عليّ ) أي لا يُعتدى عليَّ بطلب الزيادة . ومن هذا القبيل قولُ أبي الطيب المتنبي في فرسه .

( وأصرعُ أيَّ الوحشِ قفّيتُه به وأنزِلُ عنه مثله حين أركبُ )

( أيَّ الوحش ) شرطية وقفيّته به ( أي أتبعته به ) فعل الشرط . وجوابه محذوف والتقدير : أيَّ الوحش أتبعتُه به أصرعْه . فحَذَفَ جواب الشرط وهو ( أصرعه ) وأقام دليلاً عليه قولَه ( أصرع ) الواقعة قبل ( أيّ ) . وبذلك أفقدها حقَّها من الصدارة أو يقال إن ضرورة الشعر جوّزت له ذلك .

وما قلناه في بيت أبي الطيب نقوله في بيت أبي تمام :

( هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله )

يؤول بقولنا : أيّ النواحي تأته منها تجده أو تلقه بحراً . وقد حذف جواب الشرط لدلالة قوله في صدر البيت ( هو البحر ) عليه وأقام مقامه قوله ( فلجته المعروف الخ ) والإتيان بالفاء زاد الدلالة دلالة .

تحصل معنا أن جوابَ ( أيّ ) أعني جواب الشرط يُحذف اختصاراً . وهل يُحذف فعلُ الشرط نفسُه يا ترى ؟ لمْ أظفر له بمثال في كلامٍ فصيح . وهل يُحذفان معاً : أي فعل الشرط وجوابه ؟؟ لم أظفر له بمثال أيضاً . ولكن ما ذكرته آنفاً من الحذوف والاختزالات التي تقع في تراكيب ( أيّ ) الشرطية يُمهد لي سبيل الجرأة الى القول بأن ما أنكرته على الصحافيين والكتّاب المعاصرين من قولهم : (لم يصدر عني أيٌّ تصريح) هو صحيح على تأويل جعل (أي) شرطية حُذف جوابها لدلالة المقام عليه وحُذف فعلها الشرطي نفسه أيضاً لدلالة قوله ( لم يصدر ) الواقع قبلها . ويكون أصل تركيب الجملة هكذا : ( أيّ تصريحٍ نسبوه إليَّ لم يصدر عني ) أو فهو باطل . أو فهو مختلَق ونحو ذلك : ( أيٌّ ) شرطية



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جازمة و ( نسبوه إليّ ) فعل الشرط حُذف لدلالة السياق عليه و ( لم يصدر عني ) جواب الشرط حُذف أيضاً لدلالة قوله قبله ( لم يصدر عني ) عليه كما دل قول المتنبي (وأصرعُ ) على ( اصرعُه ) الواقع جواباً للشرط في شعره السابق وهو

( وأصرعُ أيّ الوحش قفّيته به وأنزل عنه مثله حين أركب )

هذا ما عندي أيها السادة في تأويل قولهم ( لم يصدر عني أي تصريح ) وهو كما ترون اختزال عجيب : هُدى اليه الصحافيّون والكتّاب الذين تأثّروا بهم بطول ممارستهم للكتابة . واضطرارهم الى السرعة فيها . وليس في هذا الاختزال ما ينافي قواعدَ النحاة سوي سلب ( أيّ ) حقها في الصدارة . وربما كان المتنبي في قوله ( وأصرعُ أيّ الوحش ) هو الذي جرّأ الصحفيين على مثل صنيعه واختزاله . وتكون هذه الجملة أي ( أيّ تصريح ) في اختزالها على نَمَط ما ورد في كلام العرب من الجُمل المختزلة أمثال ( أيضاً ) ( فصاعداً ) ( وهلم جرّا ) فان أصلها جمل ثم اختزلت .

وبناء على هذا إذا كَتَبَ احد الصحافيين في صحيفةٍ له قوله ( ولم تُنشر أيّةُ تفاصيل عن محتوياتِ مذكّرة وزير خارجية انكلترا ) ثم سُئل عن صحة هذا التعبير . كان له أن يجيب بأن ( أيّة ) شرطية جازمة لشرطها وجوابها وقد حذف فعل الشرط لدلالة السياق عليه كما حذف جواب الشرط أيضاً لدلالة قوله قبله ( ولم تُنشر ) ويكون أصل الجملة هكذا : أيّة تفاصيل يزعموا نشرها لم تُنشر .

مثال آخر : كنتُ قلتُ في بعض ما كتبتُه قديماً ( وليدعوا الاستغاثةَ بالبشر . أو أيّةَ قوةٍ أخرى من القُوى والقُدَر ) فيقال في تأويله ( أو أيّة قوةٍ يستغيثوا بها يدعوها ) .

وقال زميلنا الأستاذ ابراهيم مصطفى بك في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر المجمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

( بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٠ ) وجعل عنوانها في أصول النحو ـ ما نصه ( لم نجد في كتاب سيبويه أيّ رأيٍ نحوي منسوب الى أبي الأسود الدؤلي ) تأويله ( أيّ رأيٍ ينسبوه إلى أبي الأسود لم نجده ) وهكذا نؤول ما جاء في مصطلحات القانون الدولي التي أقرها المجمع بالأمس مذ عرَّف لفظ ( الوفاق ) ( Accord ) فقال : ( هو اصطلاح يُطلق على مختلف الاصطلاحات الدولية في أيّة صورةٍ كانت ) وقوله أيضاً في تعريف ( التوفيق ) Conciliation ( ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون لأيّةٍ من الدولتين المتنازعتين ) .

وهذا الصنيع في اختزال جملة ( لم يصدر عني أيُّ تصريح ) والإلحاح عليها بالحذف والبتر حتى لم يبق منها سوى أداة الشرط ـ إن كان يُرضي أتباع النحاة المتسامحين من الصحفيين ـ فاني لا إخاله يُرضي أتباع الجاحظ من بلغاء الزمان وحُماة لغة القرآن ، الذين اذا نطقوا جملة ( ولم تنشر أية تفاصيل عن محتويات المذكرة ) اكتفوا بقولهم ( ولم تنشر تفاصيل عن المذكرة ) بحذف ( أية ) . وإذا أرادوا فضل تأكيد قالوا ( لم يُنشر تفصيلٌ ما عن المذكرة ) بزيادة ( ما ) التي تفيد المبالغة في الإبهام والتنكير فيستغنون بها عن ( أي ) مرةً واحدة .

انتهى أيها الاخوان ما تجرأت على إلقائه على مسامعكم من هـذا الموضوع الذي أرجو أن تنظروا اليه بعين الاهتمام والسلام .

المغربي

وقد اطلع على هذا البحث زميلنا العلامة الفاضل الأستاذ ابراهيم مصطفى بك فكتب بخطه ما يلي : ١٨ يناير سنة ١٩٥٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قرأتُ هذا البحث الدقيق القيم الواسع المحيط :

وأرى تخريج استعمال «أي» في مثل قولهم (لم يصدر مني أي تصريح) على أنها صفة لنكرة محذوفة أي لم يصدر تصريحٌ أيّ تصريح ، ثم حذف الموصوف لفهمه ولتكرار لفظه .

وفي كتاب (ارتشاف الضَرَب) في باب الموصول ما نصه :

«أي صفة لنكرة مذكورة نحو (مررت برجل أي رجل) فلا يكون الا نكرة . وقد جاء حذف موصوفها في قول الشاعر :

(اذا حارب الحجاج أيَّ منافق) يريد (أي الشاعر) منافقاً أيَّ منافق

وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف موصوفها هكذا . وهذا عن أصحابنا في غاية الندور . وقالوا : فارقتْ (أيّ) سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف موصوفها واقامتها مقامه لا تقول مررتُ بأيٍّ رجل) . اهـ بنصه

والارتشاف موجز جداً وتفصيله في (التذييل والتجميل بشرح التسهيل) لنفس المؤلف . ومن هذا نرى أن لبعض الاستعمالات أجَلاً وإبّانا تكثُر ثم تندر . وقد تندُر ثم تكثر : كما ندر هذا الأسلوب عند المتقدمين حتى أنكره بعضهم . ثم شاع وألف حتى جرت به الأقلام بغير استنكار وحتى أبَى استنكاره بعضُ الكتّاب . وغضب ان يرد عليه .

---

حاشية :

(١) أعود فأقول إن سبب استنكار النُحاة حذفَ موصوف (أي) انهم قصروها على إفادة معنى الكمال في الموصوف وهو موضع تقفي المبالغة فيه بذكر الموصوف — أما غيرهم فرأوا فيها أيضاً معنى الابهام الذي يدل على كمال الدعوى لا كمال الموصوف . والله أعلم .

(٢) وفي الارتشاف أيضاً في نفس الباب :

« ولا تقع أي نكرة موصوفة فلا يجوز مررتُ بأيٍ معجبٍ لك وأجازه الأخفش » .

(٣) وقال :

وهي في الاستفهام والشرط بمنزلة (كل) مع النكرة وبمنزلة (بعض) مع المعرفة تقول : (أي رجال تضرب أضربهم) و (أيّ الرجال تضرب أضربه) .

ابراهيم مصطفى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وانا أجد في هذه المناقشة ظاهرتين ـ الأولى دقّة حِسّ استاذنا المغربي بالأسلوب العربي القديم السليم حتى استنكرت أذنه ما أنكره المتقدمون وما قلّ في كلامهم ـ الثانية أن الكتّاب المحدثين أخذوا يُطلقون أقلامهم لا يُطيقون لها قيداً ما استطاعوا البيانَ وما رَسَمَتْ ألفاظهم معانيهم ـ ومن خصائص العربية هذه السعة والمطاوعة حتى عاشت الأجيال . وسايرت الأمم . وطَغَت بغير جهدٍ على كثيرٍ من اللغات . وفي مرونتها وطواعيتها سر خلودها وغلبتها .

ابراهيم مصطفى

وبعد أن أتم الأستاذ المغربي تلاوة بحثه في (أي) وقرأ الأستاذ ابراهيم مصطفى تعليقه المذكور عليه عاد أعضاء المجمع فأداروا الكلام حول البحث فقال:

الشيخ ابراهيم حمروش : ما ذكره الأستاذ ابراهيم بك مصطفى في توجيه قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) لا ينطبق على قصد المتكلم من هذا التعبير : لأن المتكلم لا يقصد انه لم يصدر عنه تصريحٌ كامل بل أراد النفي المطلق . أما توجيه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي فهو غير صالح أيضاً : لأن النُحاة لا يجيزون حذف الشرط والجواب إلا مع «ان» واستشهدوا بقول الشاعر :

(قالت بناتُ العم يا سلمى وإنن كان فقيراً معدماً قالت وانِنْ)

الأستاذ ابراهيم بك مصطفى : حذفُ الموصوف للدلالة عليه كثير . وقد يكون أقرب من تقدير حذف الشرط والجواب وأما قولهم : ان (أي) يراد بها الكمال فهو تطور في تعبيرهم . انما المراد المبالغة في وصف الشيء أو كمال الموصوف في صفته . ومن هنا جاء معنى الاطلاق في (لم يصدر عني أي تصريح) معناه لم يصدر عني اي كلامٍ يمكن أن يسمى تصريحاً : على أوسع معاني كلمة «التصريح» وأقواها . والنُحاة أنفسهم يتسهّلون في استعمال (أي)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

موصولة مع انها لم ترد موصولة في القرآن الكريم الا في موضع واحد في قوله تعالى : ( ثم لننزعنّ من كل شيعةٍ أيّهم أشد على الرحمن عتيا ) وقد عدّها بعض المفسرين استفهامية .

وخلاصة القول : ان هذا الاستعمال ( لم يصدر عني أي تصريح ) صحيح سائغ . واذا اختلفنا في التأويل فلكلٍ رأيه .

الأستاذ عباس محمود العقاد : أضاف الصحفيون الى اللغة العربية تلك العبارة ليدلوا على المعنى الذي تدل عليه كلمة Any في اللغة الانكليزية دون أن يُخلوا بالمعنى الأصلي لكلمة ( أيّ ) ولو لم يبتكروا هذا التعبير لبقي مقابل كلمة ( Any ) ناقصاً في العربية . وليس من واجبنا أن نترك لغتنا عاجزةً عن الدلالة عما تدل عليه اللغات الحيّة الأخرى .

وكانت الساعة الأولى بعد الظهر فأعلن معالي الرئيس انتهاء الجلسة .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net